الغلو في مفهوم الولاء والبراء

دراسة نقدية

إعداد

د. محمد عبد الوهاب محفوظ

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين- القاهرة

الغلو في مفهوم الولاء والبراء

دراسة نقدية

محمد عبد الوهاب عبد الفتاح محفوظ.

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Mahfouz10@azhar.edu.eg

الملخص:

انتشرت في زماننا هذا تيارات متشددة تنتسب للإسلام وتدعو إلى أفكار متشددة بعيدة عن الإسلام وسماحته وتقبله واحتوائه للمخالفين مما يساهم في نشر الكراهية بين البشر ويؤجج الصراع والصدام فيما بينهم ويسهم في عزل المسلم عن محيطه ومجتمعه وعالمه الذي يعيش فيه والمشكلة الكبرى هنا أن هذه التيارات تحاول إلصاق هذا الفكر المتشدد بالإسلام نفسه وهو منه بريء وقد يكون عمل هذه التيارات المتشددة صادراً عن قصد حيناً وعن غير قصد أحياناً أخرى، ولعل من أهم الأفكار التي انتشرت في زماننا هذا وتسهم في إشاعة هذه الصورة المغلوطة عن الإسلام ما يسمونه عقيدة الولاء والبراء.

محاولة إبراز بعض المسائل المنتشر عند السلفية الوهابية على أنها من الدين، و بيان صحة هذا الادعاء من عدمه.

وقد عرضت في هذا البحث بيان مفهوم الولاء والبراء في اللغة وفي الاصطلاح مع بيان المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء المتشددون مع عرض أدلتهم التي استدلوا بها على ضرورة مجانبة غير المسلمين ومعاداتهم معاداة شاملة لأنهم كفروا بالله ورسوله ولا فرق عندهم بين من يعادينا ومن يسالمنا

أو يعيش بيننا من غير المسلمين ثم نقوم بالرد على هذه الأدلة مع توضيح خطأ هذا الفهم المعوج لنصوص الدين ثم نقف وقفة نقدية نبين فيها موقفنا من هذا الفهم لنبين وجه الإسلام السمح في التعامل مع الآخرين الذين لا يناصبوننا العداء مستدلين بنصوص القرآن والسنة وتاريخ المسلمين ، وزيلت البحث بقائمة المراجع والمصادروخاتمةٍ: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المنهج: اتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي (الاستقرائي – التحليلي – النقدي – المقارن).

النتائج: لا يوجد عقيدة تسمى عقيدة الولاء والبراء على الفهم الذي قال به هؤلاء المتشددون وأن هذه العقيدة بدعة ابتدعت بعد القرون الفاضلة، الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه ويكفل لكل إنسان اختيار العقيدة التي يرتضيها دون تضييق عليه أو استحقاق عقوبة دنيوية على هذا الاختيار.

يوصي البحث بالاهتمام بالابحاث العقدية ومحاولة عرضها بما يتناسب بالعصر الحالي لمحاولة تقريب المفاهيم العقدية للعصر الدي نعيشه، ويوصي بالدفاع عن الاسلام ضد هجمات المعتدين في كل المجالات الشرعية.

الكلمات المفتاحية:. الولاء، البراء، دراسة نقدية ، الإسلام ، المنهج .

Exaggeration in the concept of loyalty and disavowal Critical study

Muhammad Abdul wahab Abdul fattah Mahfouz.
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Mahfouz10**@azhar.edu.eg**

Abstract :
Spread in our time extremist currents affiliated with Islam and call for extremist ideas far from Islam and tolerance and acceptance and containment of violators, which contributes to the spread of hatred among human beings and fuels conflict and clash among them and contributes to isolating the Muslim from his surroundings and his society and the world in which he lives and the big problem here that these currents are trying to attach this extremist thought to Islam itself and it is innocent of it and may be the work of these extremist currents issued intentionally sometimes and unintentionally at other times, and perhaps from The most important ideas that have spread in our time and contribute to spreading this false image of Islam are what they call the doctrine of loyalty and disavowal.
Trying to highlight some of the issues prevalent in Wahhabi Salafism as being of religion, and to clarify the validity of this claim or not.
Has been presented in this research statement of the concept of loyalty and innocence in the language and in the terminology with a statement of the meaning that went to these extremists with the presentation of their evidence that they inferred on the need to avoid non-Muslims and hostile to them comprehensively because they disbelieved in God and His Messenger and they have

no difference between those who are hostile to us and those who ask us or live among us from non-Muslims and then we respond to this evidence with clarification of the error of this crooked understanding of the texts of religion and then stand critical where we show our position on This understanding to show the face of Islam tolerant in dealing with others who do not erect hostility inferred by the texts of the Qur'an, Sunnah and the history of Muslims, and removed the research with the imams of references and sources and conclusion: the most important findings of this research of the results, some proposals, the most important sources and references, and the index of topics.

Methodology: In this research, the integrative approach was followed (inductive - analytical - critical - comparator).

Results: There is no doctrine called the doctrine of loyalty and innocence according to the understanding that these extremists said and that this doctrine is a heresy invented after the virtuous centuries, Islam does not force anyone to enter into it and guarantees every person to choose the faith that he pleases without restricting him or deserving a worldly punishment for this choice.

The research recommends paying attention to doctrinal research and trying to present it in proportion to the current era to try to approximate the doctrinal concepts of the era in which we live, and recommends defending Islam against the attacks of aggressors in all legal fields.

Keywords: loyalty, innocence, critical study, Islam, curriculum.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

وبعد

فقد انتشرت في زماننا هذا تيارات متشددة تنتسب للإسلام وتدعو إلى أفكار متشددة بعيدة عن الإسلام وسماحته وتقبله واحتوائه للمخالفين مما يساهم في نشر الكراهية بين البشر ويؤجج الصراع والصدام فيما بينهم ويسهم في عزل المسلم عن محيطه ومجتمعه وعالمه الذي يعيش فيه والمشكلة الكبرى هنا أن هذه التيارات تحاول إلصاق هذا الفكر المتشدد بالإسلام نفسه وهو منه بريء وقد يكون عمل هذه التيارات المتشددة صادراً عن قصد حيناً وعن غير قصد أحياناً أخرى حيث إن كثيراً من شباب المسلمين يقع فريسة لهذا الفكر بدافع الحماسة للدين ظناً منهم أن هذا هو الحق ولسنا نشك أن هناك من يدفع شباب المسلمين إلى هذا الفكر المغالي والمتشدد مكيدة لهذا الدين لإظهاره بصورة شائهة ولعل من أهم الأفكار التي انتشرت في زماننا هذا وتسهم في إشاعة هذه الصورة المغلوطة عن الإسلام ما يسمونه "عقيدة الولاء والبراء " حيث يزعمون أن الإسلام يدعو إلى كراهية كل مخالف لنا في الدين وإظهار العداوة والبغضاء له وعدم الركون إلى غير المسلمين عموماً وعدم مخالطتهم أو مصاحبتهم في الحياة أو محبتهم أو دخول بيوتهم أو أكل طعامهم أو زيارة مريضهم أو تهنئتهم في مسراتهم أو تعزيتهم في أحزانهم أو حتى الثناء عليهم إذا أحسنوا لأن كل هذا يضر بمفعوم الولاء والبراء وقد يضر بعقيدة المسلم لأن بعض هذه الأمور يكفر فاعلها على

رأي كثير من المتشددين لمخالفتها لهذه العقيدة المسماة بعقيدة الولاء والبراء ولخطورة مثل هذه الأفكار الهدامة التي تهدف إلى إظهار الإسلام على أنه دين وحشي همجي لا يعرف الرحمة أو المحبة مع الآخرين المسالمين رأينا أن نبحث هذه القضية لنبين وجه الحق فيها وندق ناقوس الخطر حتى يتنبه شبابنا لما يحاك لهذا الدين وسوف نقوم في هذا البحث ببيان مفهوم الولاء والبراء في اللغة وفي الاصطلاح مع بيان المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء المتشددون مع عرض أدلتهم التي استدلوا بها على ضرورة مجانبة غير المسلمين ومعاداتهم معاداة شاملة لأنهم كفروا بالله ورسوله ولا فرق عندهم بين من يعادينا ومن يسالمنا أو يعيش بيننا من غير المسلمين ثم نقوم بالرد على هذه الأدلة مع توضيح خطأ هذا الفهم المعوج لنصوص الدين ثم نقف وقفة نقدية نبين فيها موقفنا من هذا الفهم لنبين وجه الإسلام السمح في التعامل مع الآخرين الذين لا يناصبوننا العداء مستدلين بنصوص القرآن والسنة وتاريخ المسلمين مستصحبين المنهج التحليلي لهذه النصوص وكذلك المنهج الاسترادي الذي يناسب البحث في التاريخ والسير في إنجاز بحثنا هذا وكلي أمل في أن يعينني الله سبحانه وتعالى على إنجازه على الوجه الذي يرضيه عنا والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

تمهيد

درسنا العقيدة في الأزهر الشريف فلم نجد فيما درسناه على أيدي أساتذتنا ومشايخنا ولا في كتب علماء المسلمين القدامى أو المحدثين ما يسمى بعقيدة الولاء والبراء التي تعني عند من يقول بها أن المسلم ينبغي أن يوالي المسلمين فقط ويظهر لهم المحة والمودة وأن يتبرأ من كل مخالف في الدين ويظهر له العداوة متى استطاع وأن يعاديه باليد وباللسان فإذا لم يفعل هذا فإنه يكون قد قصر في هذه العقيدة وقد يصاب في إيمانه أو قد يخرج من الدين كلية لأنه خالف عقيدة من عقائد المسلمين ولنا أن نسأل من أين أخذتم هذا الفكر ومن من سلف الأمة وعلمائها كان يقول بهذه العقيدة في القرون الفاضلة إن هذا الفكر لم يظهر بهذا الشكل ولم يدع أحد أنه عقيدة دينية إلا في قرون متأخرة يقول أحد الباحثين القائلين بالولاء والبراء على هذا الفهم معترفاً بخلو كتب العقيدة القديمة من مثل هذه الفهم " إن من الجدير بالذكر أن هذا الموضوع – الولاء والبراء – رغم أهميته ووضوحه في الكتاب والسنة إلا أن نصيبه من الدراسة والتأليف في الكتب العقدية القديمة قليل جداً "[١] ونحن نقول ليس قليلاً جداً كما تدعى ولكن لا وجود له فهذا أمر مستحدث ولنا أن نتعجب من خلو كتب العقيدة من أمر بهذه الأهمية وكأنها مؤامرة على هذا الموضوع اجتمع العلماء على عدم الحديث عنها وقد ذكر الباحث هذا حيث يقول " وبعد دخول علم الكلام في مؤلفات المسلمين العقائدية وتعكير صفوها بما ليس منها لم يعد لهذا الموضوع ذكر البتة وليس هو المنفرد بهذا الإقصاء بل إنه تابع لإقصاء

١ الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ط المكتبة التوفيقية – القاهرة ط– السابعة ٢٠١٤ ص٧٤

موضوع لا إله إلا الله وما تقتضيه" [1] وهذا كلام غريب ولأن هذا الموضوع لم يكن له ذكر قديماً لم يهتد الباحث إلى أنه ليس أمراً عقديا ولكن الأسهل بالنسبة له أن يتهم علماء الأمة بإقصاء الموضوع تآمراً ومعه لا إله إلا الله وما تقتضيه فماذا بقي للمسلمين من عقائد إن هم أبعدوا التوحيد وما يقتضيه عن كتب العقيدة؟

ويواصل الباحث كلامه الغريب فيقول " – خرج منهم أي العلماء – جيل فريد ليس له مثال سابق ولا لاحق جيل اعتز بانتمائه لدينه الخالص ففتح الدنيا ومزق ظلام الكفر والشرك وصدع باسم الله في الأرض "[2]

ونحن نقول إذا كان هذا الجيل الذي أظهر عقيدة لا إله إلا الله التي أقصاها العلماء قروناً هو جيل ليس له مثال سابق ولا لاحق كما يدعي هذا الباحث فمن هم سلفه ومن أين أخذ هذا العلم ؟ هذا كلام انشائي مرسل لا قيمة له إن الحق الذي يحاول هؤلاء البعد عنه أن الولاء والبراء لم يكن يوماً عقيدة وإنما هي بدعة أبتدعت في وقت هذا الجيل الذي ليس له مثال سابق ولا لاحق كما يدعون في القرن السبع والثامن وما بعدهما إن الكراهية لم تكن ديناً ولا عقيدة في يوم من الأيام فما كان الله ليكرم بني آدم جميعاً ويفضلهم على كثير ممن خلق ثم يأمر أهل الدين منهم أن يقهروا غيرهم ويعادوهم عداوة ظاهرة وبطنة وأن يبغضوهم من كل قلوبهم بحسب تعبير هذا التيار المتشدد بسبب اختيارهم ديناً آخر بحريتهم التي كفلها الله لهم " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" [3]

---

١ المرجع السابف ص ٧٤ ، ٧٥

٢ المصدر السابق ص ٧٥

٣ سورة الكهف آية

إننا من منطلق تصحيح الأفكار المغلوطة خاصة تلك التي ساهمت في إشعال العداوة والكراهية بين بني البشر ومحاولة إلصاق هذا الفكر بالأديان آثرنا أن نبحث هذه المسألة بحثاً علمياً متأنياً مبنياً على الأدلة والبراهين المستقاة من نصوص الدين وتاريخ المسلمين وفهمها على الوجه الصحيح.

مفهوم الولاء والبراء

يلزمنا قبل أن نعرض وجهة نظر هذا التيار في مسألة الولاء والبراء أن نتعرف أولاً على معنى الولاء والبراء في اللغة ثم نتعرض لمفهومه في الاصطلاح حتى تكون الأمور واضحة .

أولاً : الولاء في اللغة:

الولاء في اللغة المحبة ووالى فلان فلاناً أي أحبه والموالاة ضد العداوة وتطلق الولاية على عدة معاني تدور حول النصرة والمحبة والمتابعة والتحالف[١]

وقد يكون الولي بمعنى الرب والمالك يقول تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٢]

ويقول تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[٣] أي معبوداً وإلهاً.

---

١ – انظر لسان العرب لابن منظور ج٣صـ٩٨٥ وما بعدها ط دار لسان العرب بيروت ١٣٨٩هـ.

٢ – سورة البقرة آية ٢٥٧.

٣ – سورة محمد آية ١١.

وقد تكون بمعنى الاتباع يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]

فوالاه أي تابعه [2]

ثانياً : البراء في اللغة:

البراءة: التباعد والتخلص والبراء والبريء سواء[3] فكلاهما بمعنى واحد فمن برئ من شيء فقد أبعد نفسه ونأى بها عنه وكل ما ورد في البراء يدور حول هذا المعنى [4]

ثالثاً : الولاء في اصطلاحهم:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي للولاء فهو يعني النصرة والمحبة والتجلة والاحترام ظاهراً وباطناً فمن والى أحداً أظهر له المودة والاحترام بالأقوال والأفعال والنوايا[5]

فموالاة المسلمين تعني محبتهم والإخلاص لهم وإظهار المودة والتجلة والاحترام لهم والمحبة القلبية لكل مسلم.

---

١ – سورة المائدة آية ٥١.

٢ – انظر المصباح المنير / المقري (محمد بن محمد المقري) ٨٤١/٢ ط دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١٣٨٨هـ.

٣ – لسان العرب١٨٣/١ والقاموس المحيط للفيروزأبادي ط المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١ هـ . ٨/١ .

٤ – راجع القاموس المحيط ٤/ ٢٩٤

٥ – انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٠٣ ط المكتب الإسلامي سنة ١٣٩١هـ .

أما موالاة الكفار وإظهار محبتهم والتقرب لهم والتودد إليهم بالأقوال والأفعال والنوايا فهذا ينافي الولاء المطلوب.

رابعاً : البراء في اصطلاحهم:

أما البراء في اصطلاحهم فهو: البعد والتخلص والعداوة للمتبرئ منهم بعد الإعذار والإنذار لهم .[١]

وسوف نزيد هذا المفهوم توضيحاً وشرحاً فيما يلي لنبين وجهة نظر هذا التيار في حقيقة الولاء ولبراء بشيء من التفصيل.

حقيقة الولاء و البراء:

يرى كثير من أصحاب هذا الفكر أن الولاء مرتبط بالمحبة والقرب والبراء مبنى على البغض والبعد يقول ابن تيمية في ذلك : " الولاية ضد العداوة و أصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض

والبعد ، والولي القريب يقال هذا يلي هذا أي يقرب منه فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معادياً له كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾[٢]
فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه "[٣]

---

١ – راجع الولاء والبراء في مرجع سابق ص٧١.

٢ – سورة الممتحنة آية ١.

٣ – انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ط / المكتبة الإسلامية ١٣٩٧ ص٧.

ونحن نقول إن هذا الأمر لا خلاف عليه فمن جاهر بعداوة المسلمين وناصبهم العداوة وحاك المكائد لهم فهو عدو لله ولرسوله وموالاته خيانة لدين الله تعالى ولكن هذا الأمر لا ينسحب على كل مخالف لنا في الدين فمن لم يعادي المسلمين ولم يسع في الكيد لهم فهذا الذي نتكلم عنه ونرى أنه ليس مستحقاً للبغض والكراهية.

ويذكر احد الباحثين من هذا التيار المغالي "أن هناك اتفاق بين المسلمين على أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان"[1]

وهذا كلام يثير العجب فكيف يدعي هذا الباحث أن المسلمين متفقون على وجوب التقرب إلى الله ببغض المخالفين وعداوتهم باليد واللسان ما أمكنه ذلك أي اتفاق هذا ومن من علماء المسلمين قال هذا وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتقربون إلى الله ببغض أهل مكة أو أهل المدينة من العرب المشركين أو اليهود هذا كلام لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافة ولو كان هذا الكلام صحيحاً لكان مطلوباً من كل المسلمين أن يعادو غيرهم وأن يقتلوهم في كل مكان وزمان ولما وسع المسلم غير ذلك ولكان الواجب على كل مسلم معاداة الناس بلسانه وبيده فيلعن من استطاع أن يلعنه ويسفك دم من استطاع أن يقتله هل هذا هو المطلوب من المسلم ؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم أمكنه الله من أهل مكة يوم الفتح وكانوا مشركين فهل آذاهم بلسانه وبيده وكان قادراً على أن يفعل ذلك ؟ لقد عفا

١ – الولاء والبراء في الإسلام مرجع سابق ص٧٢.

عنهم النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يتعرض لهم بأذى ودون أن يطلب منهم يومها أن يدخلوا في دين الله إن هذا الكلام باطل شكلاً وموضوعاً ويسيء للإسلام إن ألصق به إن الإسلام كان دائماً دين المحبة والسلام لا دين الكراهية والاعتداء .

ويرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي "أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين"[١] والكلام فيه تعميم لا نقبله حيث إنه يلزم كل مسلم بعداوة المشركين عامة دون تفرقة بين مسالمين ومحاربين والسؤال هنا هو: هل كان هذا هو دأب النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعادي المخالفين عموماً ويجاهر بعداوتهم والاعتداء عليهم باللسان وباليد ؟

ويصنف ابن تيمية الناس بحسب الولاء والبراء على النحو التالي :-

١- من كان مؤمناً كامل الإيمان وجب موالاته من أي صنف كان.

٢- من كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان أي بلا تفرقة بين المسالمين وغيرهم .

٣- من كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من المولاة بحسب إيمانه ومن البغض بحسب فجوره[٢]

ويلاحظ في كلام ابن تيمية إصراره على أن تكون العداوة كاملة لغير المسلمين وأن نقصان البغض لهم هو نقصان من إيمان المؤمن حيث

١ - مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ط/ دار الفكر بالقاهرة ١٩٧٨ ص١٩

٢ - انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية مطبعة / المنارة – القاهرة ١٩٧٤ج ٢٨/ ٢٠٨

يقول : " أما حب القلب وبغضه وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك إلا بنقص الإيمان " [١] وهذا الإصرار على بغض غير المسلمين

الذين ليس لهم ذنب إلا أن اختاروا الكفر على الإيمان بإرادتهم وحريتهم دون أن يكون بينهم وبين المسلمين عداوة هذا الإصرار على الكراهية عجيب إن الأديان لا تأمر بالكراهية والبغض بين البشر بل إن الأديان السماوية هي التي علمت الناس قبول الآخرين والإسلام خاصة أكد على هذا تأكيداً لا يشوبه لبس بأن لكل إنسان أن يختار ما شاء من الاعتقاد ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[٢] ومنع المسلمين من إكراه أحد على الإيمان ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [٣] فهل يعقل أن يبيح الإسلام للناس اختيار ما يشاؤون من العقائد ثم يعاقبهم بألزام المسلمين ببغضهم و إيذائهم باللسان واليد كل بحسب قدرته؟ هذا أمر غريب.

إن الولاء والبراء من وجهة نظرنا يعني أن المسلم ينبغي أن يتبرأ من كل معبود سوى الله تعالى بمجرد دخوله الإسلام وخلع كل ولاء وعبودية وطاعة وخوف ورجاء لأي معبود أو متبوع أو مطاع من دون الله وقصر هذا الولاء والحب والتعظيم لله سبحانه وتعالى [٤] وهذا المعنى لا

---

١ – انظر المصدؤ السابق نفس الصفحة

٢ – سورة الكهف آية ٢٩.

٣ – سورة البقرة آية ٢٥٦.

٤ – الولاء والبراء في الإسلام ص١٣٠.

خلاف عليه ففي جانب العبادة فإننا نتبرأ من كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى أما في الحياة الاجتماعية فلا مجال للكراهية والبغضاء بين البشر ولكل منهم أن يعبد ما يشاء ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [١]

١ - سورة الكافرون آية ٦.

أدلتهم على ما ذهبوا إليه

استدل القائلون بوجوب موالاة المسلمين فقط والبراءة من غير المسلمين عامة بعدة أدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [1] ولنا مع هذه الآيات وقفة حيث إنها عمدة في استدلالهم على وجوب البراءة من الكفار وعدم موالاتهم ولنا ملاحظات على هذا الاستدلال بهذه الآيات منها :

أ- أن الآيات نزلت في بعض الصحابة لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله فيقولون ننشدك الله ألا تدعنا إلى غير شيء فتضيعنا فنضيع فيرق قلبه لذلك فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل قول الله تعالى :

١ - سورة التوبة آيات ٢٣، ٢٤.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ..... ﴾ الآية [١]

فالآية تأمر المسلمين بالمسارعة بالهجرة تنفيذاً لأمر الله ولا يمنعهم أهلهم وعشيرتهم عن ذلك فالله أولى أن يطاع أمره ما في ذلك من شك ولكن لا نرى في ذلك دليلاً على وجوب بغض الأهل والأزواج والعشيرة وإنما الإسراع بالهجرة طاعة لله وحينما ظن البعض بعد نزول هذه الآيات أن على المسلم أن يهجر أهله وأقاربه كان الواحد منهم يرى والده أو أحد أقاربه فيعرض عنه ولا يكلمه فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [٢] فعادوا إلى معاملتهم والإحسان إليهم.

أ- الآيات تحذر المسلمين من أن يكون حب الآباء والأبناء والزوجات والعشيرة والتجارة والأموال أكبر من حبهم لله ورسوله الآية فيها أفعل تفضيل " أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله " وهذا لا دليل فيه على وجوب كره الآباء والأبناء والأموال هذا تحميل للنص فوق ما يحتمل وليس هذا الأمر

١ - انظر أسباب النزول للواحدي / أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي.١٦٤/١

٢ - سورة لقمان آية ١٥.

وهو عدم محبة الأقارب والكفار أكثر من حب الله ورسوله خاصاً بالكفار فقط بل إن المسلم لو أحب أحداً من المسلمين قريباً أو غير قريب أكثر من حبه لله ورسوله لوقع عليه نفس هذا الأمر بل لو أحب نفسه أكثر من الله ورسوله ما قبل إيمانه حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما حتى من نفسه فحينما قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من كل شيء ومن نفسك فقال يا رسول الله لأنت الآن أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي فقال الآن يا عمر فقد روى البخاري قال حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و سلم (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه و سلم (الآن يا عمر) [1] فانظر كيف لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم من عمر رضي الله عنه أن يحب نفسه أكثر من حبه لله ورسوله والآيات هنا تنهى المسلمين أن يكون أهلهم وعشيرتهم وأموالهم أحب إليهم من الله ورسوله وليس المقصود مطلق الحب وإنما هو نوع مقيد

١ – صحيح البخاري دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

من الحب وهو حب هؤلاء حباً أشد من حب الله ورسوله ومن حب الجهاد في سبيل الله أما الحب الذي لا يصل إلى هذا الحد فليس داخلاً في هذه الآية من وجهة نظري .

ب – قال المفسرون في تفسير قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان " أي لا تتخذوهم بطانة تفشون إليهم أسرار المسلمين [١] ولا شك أن اتخاذ غير المسلمين بطانة بهذا الشكل وإخبارهم بأسرار المسلمين مما يضر بمصالح الدولة الإسلامية وهذا مما لا خلاف على منعه واستهجانه ولكن ليس المقصود معاداة الأقارب غير المسلمين بسبب كفرهم فقط .

جـ – في فتح مكة قام أحد المسلمين وهو حاطب بن أبي بلتعة بإفشاء سر النبي صلى الله عليه وسلم حينما توجه إلى مكة لفتحها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخفى هذا الأمر حتى لا تعلم قريش بأمر الفتح فيأخذهم فجأة حتى لا يكون قتال وإسالة دماء فأرسل حاطب بن أبي بلتعة لأهل قريش يخبرهم بذلك وأرسل رسالة مع امرأة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإحضار الرسالة قبل أن تصل إلى مكة فأحضرت الرسالة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم حاطباً لماذا فعلت هذا ؟ فقال يا رسول الله : إنني رجل ليس لي عشيرة وقوة بمكة فأحببت أن يكون لي عندهم يد فأرسلت لهم ذلك وأعلم أن هذا لن يضرك بشيء فقبل النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك ولم يعاقبه ولو كان هذا الأمر قدحاً في عقيدة المسلم لما قبل النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك.

---

١ –تفسير القرطبي ٩٣/٨ وما بعدها

٢- استدلوا بقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

- **ولنا وقفة مع الاستدلال بهذه الآية على ما ذهبوا إليه فنرى أن الاستدلال بهذه الآية** على وجوب بغض الكفار ومعاداتهم فقط لأنهم كفار لا يستقيم لأن الآية توضح أن المؤمن لا ينبغي له أن يحب الكافر أياً كانت درجة قرابته له كالأب والأخ والابن وغيرهم إذا كانوا يحادون الله ورسوله أي يحاربون دين الله ويحاربون المؤمنين فالآية فيها قيد هو المحادة أي العداوة والكيد للإسلام والمسلمين ومحاربتهم وهذا مما لا خلاف عليه فمن بادرنا بالعداوة وأمسك السلاح علينا فليس له عندنا إلا العداوة والقتال مهما كانت درجة قرابته منا ويشهد لهذا الفهم السبب الذي نزلت من أجله هذه الآية فقد ذكر ابن كثير في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه في غزوة بدر ، وفي أبي بكر حيث هم بقتل ابنه عبد الرحمن ، وفي مصعب بن عمير حيث قتل أخاه عبيد بن

١ - سورة المجادلة آية ٢٢.

عمير في يوم بدر أيضاً [١] وهذا سبب نزول هذه الآية والأمر واضح فقد قتل هؤلاء زويهم في غزوة بدر فالأمر كان فيه قتال ومحادة لدين الله وعداوة لله ورسوله والمؤمنين تستوجب الدفاع عن دين الله ولكن ليس الأمر على إطلاقه فما لم تكن هذه المحادة موجودة لما كان هناك مسوغ لقتل هؤلاء لذويهم فالإسلام لا يبيح بغض ومعاداة الآباء والأبناء والأخوة والعشيرة لأنهم يخالفوننا في الدين فقط فالإنسان حر في اختيار دينه كما يشاء شريطة ألا يحارب الله ورسوله والمسلمين ولو كان الإسلام يوجب قتل كل قريب لكفره لوجب على كل مسلم أن يقتل جميع أقاربه وإلا فإنه مذنب ومخالف لأمور دينه وعقيدته حيث إن هذا الأمر داخل في العقيدة على زعمهم حيث يسمونها عقيدة الولاء والبراء ومخالفة أمر العقيدة أخطر الأمور على دين المرء.

خلاصة القول أن الآيات ليس فيها دليل على ما يقولونه من وجوب معاداة الكفار في كل حال وإنما الآية تتحدث عن مسألة خاصة هي حالة العداوة والمحادة ولا ينسحب هذا على كل كافر.

وفي تفسير القرطبي " أن أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه ولده أبو بكر صكة وقع منها على وجهه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال أو فعلته ؟ لا تعد

١ – راجع تفسير القرطبي ٢٠٦/١٧ وما بعدها

إليه " [1] فانظر كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر عن أن يضرب أباه حتى ولو كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم فهل بعد هذا يقال إن معاداة الكفار عموماً واجب على كل مسلم في كل وقت؟

ولعل في قصة أسماء بنت أبي بكر مع أمها حينما جاءت تطلب صلتها وبرها فامتنعت عن ذلك فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ببرها ما يدحض قول من زعم أن المسلم ينبغي أن يظهر العداوة والكراهية للمشركين في كل حال.

٣- **استدلوا بقول الله تعالى عن إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام:**

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [2]

ونحن نقول إن الآية ليس فيها ما يؤيد فهمهم للولاء والبراء من أنه ينبغي البراءة من كل كافر وإظهار عداوته وبغضه وعدم التعامل معه وإنما الآية تبين أن إبراهيم ومن معه تبرأوا من كفر الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى فأعلنوا براءتهم من كل ما يعبدون من دون الله وهذا مما لا خلاف عليه فالمؤمن ينبغي أن لا يرضى

---

١ - راجع تفسير ابن كثير ٣/ ١٣٩ طبعة /دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م وتفسير القرطبي ٢٠٧/١٧

٢ - سورة الممتحنة آية ٤.

عن أي دين يخالف دين الإسلام أو عن عبادة أحد من دون الله سبحانه وتعالى مع التسليم بحق كل إنسان في أن يعبد ما يشاء واحترام عقائد الآخرين لا يعني الإقرار بها كما لا يعنى عدم الرضا عنها بغض الناس ومعاداتهم وإظهار الكراهية لهم

بسبب اتخاذهم ديناً غير دين الإسلام إن أخلاق الإسلام لا تأمر بالبغضاء والكراهية بل إنها تدعو للتعايش والإحسان في المعاملة لكل الناس ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [١] فتكريم الإنسان هنا تكريم لكل بني آدم مسلمهم وكافرهم لقد التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران في مسجده وعرض عليهم الإسلام فلم يقبلوه وفضلوا البقاء على دينهم فهل لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم أو أظهر لهم الكراهية والعداوة ؟ كلا لقد احترم النبي صلى الله عليه وسلم رغبتهم في البقاء على دينهم وخرج يودعهم إلى حدود المدينة بنفسه.

إن أخلاق الإسلام تمنع المسلم من سب معبودات الآخرين أياً كانت يقول تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] فهذا نهي عن سب أصنام المشركين أو غيرهم هذا هو أدب الإسلام الراقي الذي

١ – سورة الإسراء آية ٧٠.

٢ – سورة الأنعام آية ١٠٨.

يراعي مشاعر الآخرين ولو كانوا كفاراً لقد أعلن الإسلام في صراحة لا خفاء فيها أن لكل إنسان الحق في أن يختار دينه وعقيدته دون حرج ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [1]

٤- استدلوا بقوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [2] فاستدلوا بهذه الآيات على أن الله يحذر المسلمين من اتخاذ غير المسلمين أولياء ويتوعد الله الذين يتولون غير المسلمين بالعذاب والسخط ولو أنهم كانوا مؤمنين حقاً ما فعلوا ذلك .

ونحن نقول في هذا إن الآيات هنا لا تتحدث عن المسلمين وإنما تتحدث عن بني إسرائيل كما جاء في تفسير الطبري أو عن المنافقين كما جاء في تفسير القرطبي يقول الطبري في تفسير هذه الآية " ترى يا محمد كثيراً من بني إسرائيل يتولون الذين كفروا والمشركين من عبدة الأوثان ويعادون أولياء الله ورسله " [3]

---

١ - سورة الكافرون آية ٦.

٢ - سورة المائدة آية ٨٠،٨١.

٣ - انظر جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ١٠/ ٤٩٧

ويقول القرطبي : " " ترى كثيراً منهم أي من اليهود ..... وقال مجاهد يعني المنافقين يتولون الذين كفروا أي المشركين وليسوا على دينهم " [١] فالآيات هنا لا تتحدث عن مسلمين بل هي تعيب على بني إسرائيل موالاتهم للمشركين الذين يعبدون الأصنام فينصرونهم ويظاهرونهم على المسلمين وهم أقرب لهم وليس معنى الولاء هنا المعاملة أو المحبة وإنما معناه النصرة ومساعدتهم في عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وهذا لا شك في أنه يجلب عليهم سخط الله أما أن نتعامل مع الناس بالمودة والمحبة والاحترام رغم اختلاف دينهم فهذا مما لا

يدخل في هذه الآية وأمثالها بل الأديان جاءت بما يقوي الروابط الإنسانية بين الناس وزرع المحبة والاحترام بين الجميع خاصة إذا كانوا يعيشون في مجتمع واحد وهذا لا يخفى على أحد بأدنى نظر فإذا رجعنا إلى النبي ومعاملاته في مكة وفي المدينة مع غير المسلمين من المشركين وأهل الكتاب لوجدنا نموذجاً يحتذى في التعايش والاحترام وترك الناس أحراراً في معتقداتهم

وشعائرهم بل إنهم كانوا يقيمون شعائرهم في المدينة على مرأى ومسمع من النبي وأصحابه دون تضييق أو معاقبة وما علمنا أن النبي وأصحابه كانوا يظهرون لهم البغض أو العداوة أو يلقون على مسامعهم عبارات الكراهية أو التبرم من دينهم ومن شعائرهم فمن أين جاء هؤلاء المتشددون بهذا الكلام الذي يدعو لكراهية الآخرين

---

١ - انظر تفسير القرطبي ٦/٢٥٤

ومعاداتهم وإظهار البغض لهم في كل حين والمشكلة الكبرى أنهم ينسبون كل هذا إلى الدين ويدعون أن هذا من لوازم العقيدة أو هو عقيدة دينية.

٥- استدلوا كذلك بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١)

فقد استدلوا بهذه الآية على وجوب البراءة من اليهود والنصارى وعدم موالاتهم وأن من فعل هذا من المسلمين فإنه منهم ويعد كافراً بنص الآية مما يدل على أن موالاة اليهود والنصارى تتنافى مع عقيدة المسلم.

ونقول إن هذا الفهم الذي فهموه من الآية فهم خاطئ فالآية تنهى عن موالاة اليهود والنصارى ومؤازرتهم على المسلمين أو إفشاء أسرار المسلمين لهم يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : " قيل المراد به المنافقين الذين آمنوا بظاهرهم وكانوا يوالون المشركين ويخبرونهم بأسرار المسلمين، وقيل نزلت في أبي لبابة يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود والنصارى، وقيل نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول فتبرأ عبادة

١ - سورة المائدة آية ٥١.

رضي الله عنه من موالاة اليهود وتمسك بها ابن أبي وقال : إني أخاف أن تدور الدوائر "[١]

والكلام هنا واضح في أنها نزلت فيمن أراد أن يتولى غير المسلمين ويلجأ إليهم تاركاً النبي والمسلمين ولا شك في أن هذا من الولاء الممنوع و الكلام ليس في هذا النوع من الولاء ثم يقول القرطبي في قوله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) " أي يعضدهم على المسلمين فإنه منهم ..... أي في النصر" [٢] فمعنى يتولاهم هنا أي يساندهم على المسلمين ولا شك في منع هذا .

٦- يستدلون بقوله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٣]

فالله قد حذر المؤمنين في الآية من اتخاذ الكفار أولياء وأن الله برئ ممن فعل هذا وتولى الكفار من دون المؤمنين فوجب على المسلم البراءة من الكافرين في كل حال على زعمهم حتى لا نغضب الله سبحانه وتعالى.

ونحن نقول إن الآية لا تحرم على المسلمين التعامل مع غيرهم إذا لم يعادوا الله ورسوله ويكيدوا للمسلمين وإنما الآية تمنع المسلمين من تولى

---

١ - تفسير القرطبي ٦/ ٢١٦

٢ - تفسير القرطبي ٦/ ٢١٦ وما بعدها

٣ - سورة آل عمران آية ٢٨.

الكفار بمعنى نصرتهم ومؤازرتهم على المسلمين يقول الطبري في تفسير هذه الآية : " وهذا نهي من الله عز وجل للمؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً " (١)

فالمنع هنا عن مناصرة الكفار ومؤازرتهم والاستقواء بهم والالتجاء إليهم ثم يقول الطبري: " ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار أنصاراً توالونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء " (٢)

ولا شك أن من يوالي غير المسلمين بهذا الشكل بحيث يفضلهم على المسلمين ويعاونهم عليهم ويدلهم على عورات المسلمين فهو خائن لدين الله سبحانه وتعالى ، ولكن معاملة غير المسلمين الذين لا يحاربوننا ولا نتولاهم من دون المسلمين ولا نكيد معهم للمسلمين أمر آخرلا يدخل في هذا .

٧- يستدلون أيضاً بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣)

---

١ - تفسير الطبري ٣١٣/٦ وما بعدها

٢ المصدر السابق نفس الصفحة.

٣ - سورة آل عمران آية ١١٨.

فالقرآن ينهانا عن اتخاذ الكفار بطانة لأن عداوتهم للمسلمين لا تخفى على أحد وتنطق بها ألسنتهم ويكنون في أنفسهم أكثر مما يبدون في كلامهم من هذه العداوة والبغضاء والحقد على المسلمين فمن هنا وجب على المسلم أن يبادلهم العداوة بالعداوة والبغض بالبغض.

ونقول رداً على ذلك : إننا لا نعارض في وجوب معاملة المبغضين لنا من المخالفين بما يستحقون وبما يعاملوننا به فليس مطلوباً أن نحب من يبغضنا ويجاهر بذلك ويكيد لنا ويسعى في إلحاق الأذى والضر بنا هذا ليس له عندنا إلا أن نبادله العداوة بمثلها والبغض بالبغض والاعتداء بالتصدى له وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١)

فهؤلاء لا يجوز محبتهم ولا موالاتهم . أما من لا يكيد لنا ولا يتعرض لنا بسوء ويتعامل معنا بالحسنى فلا حرج في التعامل معه بالمودة والمحبة التي ميزت المسلمين على طول تاريخهم في التعامل مع غيرهم.

وقد ذكر ابن كثير في تفسير الآية أن الله نهى عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة أي يطلعونهم على أسرارهم وما يضمرونه

١ – سورة الممتحنة آية ١.

لأعدائهم ، والمنافقون يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكروه والخديعة. [1]

فعلى هذا فالآية لا تخص معاملة المسلمين لغيرهم بل هي خاصة بتعاملهم مع المنافقين الذين لا يألون جهداً في الكيد للإسلام والمسلمين ومحاولاتهم المستمرة لزعزعة المجتمع المسلم ولا شك أن هؤلاء لا يمكن معاملتهم بالحسنى وإنما ينبغي اجتنابهم وعدم الركون إليهم وإن كنا نرى أن النهي هنا عام لكل من أراد للمسلمين الخبال أي الفساد سواء أكان من المنافقين أم من غيرهم وهذا لا خلاف فيه وإنما الخلاف فيمن لا يريد الخبال للمسلمين ولا الكيد لهم .

٨- يستدلون بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [2]

قالوا نزلت هذه الآية في شأن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما أرسل إلى قريش يخبرهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خارج لغزوهم في فتح مكة فقد روى البخاري عن علي بن أبي طالب قال : " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ [مكان بين الحرمين] فإن بها ظعينة (أي امرأة) معها كتاب فخذوه منها فذهبنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي

١ - تفسير ابن كثير ١٠٦/٢ -١٠٧

٢ - سورة الممتحنة آية ٩.

كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا حاطب؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذا فاتني من النسب فيهم أن أصطنع لهم يداً يحمون قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد صدقكم فقال عمر : دعني يا رسول الله فأضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم : إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "[١]

فالآيات التي نزلت بشأن هذه الواقعة تنهى المسلمين أن يتخذوا الكافرين أولياء وأن يحبوهم وينصروهم ويخلصوا لهم فلا يجوز لمسلم أن يفعل من ذلك شيئاً لأن هذا ينقص الولاء والبراء الذي هو عقيدة من أهم العقائد على رأيهم .

ونحن نقول : إن موالاة أعداء الله الذين يظهرون العداوة لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين لا ينبغي أن نفعلها أو أن ننصرهم على المسلمين وعلى دين الله ولكن كلامنا ليس عمن يجاهر بعداوته لله ورسوله وإنما الكلام عمن لا يحارب الإسلام والمسلمين ولا يكيد لهم

١ – رواه البخاري / كتاي الجهاد والسير باب. الجاسوس ١٠٩٥/٣

فليس الأمر هنا كذلك ، ثم إنه لو كان الولاء والبراء عقيدة ما عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب بعد ما فعل فعلته هذه وإنما قبل النبي كلام حاطب وصدقه وقبل منه هذا الأمر لما علم أنه ما فعل ذلك خيانة لدين الله على الرغم من أنه والى كفاراً يظهرون العداوة لله ورسوله غير أنه أعلن لرسول الله أنه ما فعل ذلك كفراً ولا ردة عن الدين فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا شاهد آخر في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [1] فالله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما لم يكن ذلك اضطراراً منه (إلا أن تتقوا منهم تقاة)

والأمر هنا من وجهة نظرنا ليس عاماً ولكن المنهي عنه هو موالاة المعادين المجاهرين بعداوتهم والذين يظاهرون على المسلمين أما من لم يكن كذلك ولم تظهر عداوته للمسلمين ولم يظاهروا عليهم فلا حرج في التعامل معهم معاملة طيبة.

٩- استدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [2] قالوا إن

١ - سورة آل عمران آية ٢٨.

٢ - سورة المائدة آية ٤٩.

الله سبحانه وتعالى ينهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع اهواء غير المسلمين لأن متابعتهم في أهوائهم قد تفتنه عن دينه فينبغي اجتنابهم وعدم الركون إليهم وهذا هو معنى البراء منهم.

ونحن نقول : إن المنهي عنه هو اتباعهم في أمور الشريعة فلا يجوز لمسلم فضلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبع غير المسلمين في أهوائهم إذا كانت تخالف شريعتنا أما مصاحبتهم ومعاملتهم بالحسنى في الأمور الحياتية فليس هناك ما يمنع هذا والآية وضحت هذا الأمر بصورة جلية حيث ورد في الآية " واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك " فالتحذير هنا من كفار يحاولون صرف النبي أو المسلمين عن بعض ما أنزل الله فيطلبون منهم مخالفة أوامر الله وشريعته التي أنزلها على رسوله وهذا مما لا خلاف في حرمته فأي مسلم يركن إلى غير المسلمين ويأتمر بأوامرهم فيما يخالف ما أنزله الله على رسوله فقد ارتكب إثماً عظيماً لا يصل إلى الكفر ما لم يعلن براءته من هذه الأحكام أو ينكرها خاصة إذا كانت أحكاماً قطعية الدلالة مما لا يسع المسلم مخالفتها.

هذا وهناك آيات أخرى من القرآن استدل بها هؤلاء المتشددون ظناً منهم أنها تخدم مدعاهم بتحريم التعامل مع غير المسلمين ووجوب عداوتهم وبغضهم إلا أنها لا تخرج عما قلناه وكلها تفيد بأن المسلم لا حرج عليه أن يتعامل مع غير المسلمين كما يشاء وأن يحسن إليهم وأن يودهم ويحبهم وهذا لا يقدح في عقيدته وإنما المنهي عنه هو موالاة أعداء الله الذين يجاهرون بالعداوة وبكراهية المسلمين

ومحاربتهم ومحاربة دين الله تعالى فهذا الأمر مرفوض ووقوعه من المسلم

يعرضه لغضب الله سبحانه وتعالى وقد يصل به إلى الكفر إن عاون الكفار على المسلمين اقتناعاً بما هم عليه من العقائد وبغضاً لدين الله وكيداً لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقد استدلوا إلى جانب تلك الآيات ببعض الأحاديث النبوية للاستدلال على ما ذهبوا إليه وسأذكر فيما يلي بعض هذه الأحاديث مع الرد على فهمهم لها باختصار.

فمن هذه الأحاديث :

١- يستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم : " **أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله** " [١] هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود في سننه والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم وفي معناه رويت أحاديث كثيرة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : لا يجد صريح الإيمان عبد حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله تبارك وتعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.

---

١ – انظر : شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

وقوله صلى الله عليه وسلم عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان قال : أن تحب لله وتبغض لله وأن تحب للمسلمين ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض قال الله عز وجل : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله "

وغيرها من الأحاديث التي استدل بها أصحاب هذا الفهم في الولاء والبراء حيث قالوا إن حب الكفار وأعداء الله ينافي الحب في الله وعدم بغضهم ينافي البغض في الله والأحاديث السابقة واضحة الدلالة على أن حب من أحبه الله وبغض من أبغضه هو أوثق عرى الإيمان وأن الدين هو الحب في الله والبغض في الله وهذا هو معنى الولاء والبراء على زعمهم.

ولنا هنا وقفة مع هذه الأحاديث والروايات فقد قال أهل العلم بضعف أكثرها وقد ضعفها الألباني نفسه في كتابه ضعيف الترغيب والترهيب وبعيداً عن هذا الضعف فإن الأحاديث ليس فيها ما يفيد ما ذهبوا إليه من أن الأمر خاص بالولاء والبراء أو البراءة من غير المسلمين وبغضهم ومعاداتهم وإنما الأحاديث تدعو المسلم أن يحب ما يحبه الله تعالى وأباحه لهم في دينه

وأن يبغض ما نهاهم الله عنه واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وليس بغض الكافر لكفره فقط مما أباحه الله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [1] فمن اختار الكفر فله ذلك دون أن يجبر على ترك ما اختاره من اعتقاد أو معاداته أو كراهيته فليس هذا مما أمر الله به بل إنه تعالى نهى عنه نهياً واضحاً بيناً فقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [2] فهذا استفهام انكاري لمن يكره الناس على الإيمان فبغض من اختار الكفر على الإيمان ليس بغضاً في الله لأن الله لم يأمر بهذا ومع تسليمنا الكامل بأن الكفر قبيح إلا أننا نرى الله سبحانه وتعالى يحمي للناس اختيارهم حتى لو كان هذا الاختيار لا يرضيه إلا أنه لا يرضى أيضا عن إجبار الناس على الإيمان والأحاديث فيما أرى لا تخدم المعنى الذي ذهب إليه أصحاب هذا الفهم وإنما المقصود بها أن يكون المسلم مراقباً لله يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله حتى لو كان ضد رغباته وهذا عام في كل أمور الحياة وهذا ما

١ – سورة الكهف آية ٢٩.

٢ – سورة يونس آية ٩٩.

وضحه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** " [١] .

من هنا نقول : إن الحب في الله والبغض في الله المذكور في الأحاديث عام في حب كل ما أحبه الله وبغض كل ما يبغضه الله تعالى سواء كان من يفعل هذا مسلماً أو غير مسلم فغير المسلم الذي يعادي الله ورسوله ويظهر هذه العداوة ويسعى في إفساد دين الله ومحاربته لا شك في وجوب بغضه ومعاداته أما من لم يكن كذلك فليس للمسلم أن يبغضه بلا سبب. [٢]

الرد على المغالين في الولاء والبراء

يقول أصحاب هذا الاتجاه المتشدد

إن المسلم ينبغي أن لا يحب أحداً ما لم يكن مسلماً وأن الكافر ينبغي أن نكرهه من كل قلوبنا لأن الكافر عدو لله ورسوله والمؤمنين لذا يجب علينا كراهيته فقد قال تعالى :

---

١ – الحديث رواه. النووي في الأربعين وقال حديث حسن صحيح انظر : شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد الناشر : مؤسسة الريان الطبعة السادسة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٢ – راجع ما استدلوا به على وجوب البراءة من كل كافر في كتاب الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف / محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ط المكتبة التوفيقية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾(١)

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٢)

وهذه الآيات توجب على المسلمين عدم موالاة غير المسلمين وإظهار العداوة والبغضاء لهم وأن من أحبهم فهو منهم وأنه سيحشر معهم لقوله صلى الله عليه وسلم : " من أحب قوماً حشر معهم "(٣) فالمسلم لابد أن يلتزم بمولاة المسلمين فقط وعليه أن يتبرأ من غير المسلمين جميعاً وإلا فإن في ولائه للإسلام والمسلمين مشكلة قد تكون عقدية .

---

١ – سورة الممتحنة آية ١

٢ – سورة المائدة آية ٥١– ٥٢

٣ – الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك قال العجلوني في كشف الخفاء :من أحب قوما حشر معهم . رواه الحاكم في مستدركه جازما به بلا سند، ويشهد له: المرء مع من أحب، ورواه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة بلفظ: من أحب قوما حشره الله في زمرتهم. انظر كشف الخفاء / إسماعيل بن محمد العجلوني ط القدسي الطبعة الثلثة ١٩٨٨م ٢٢٢/٢

ونحن نقول إن هذا الكلام فيه تشدد واضح وعدم فهم للنصوص ولا يتفق مع هدي النبي صلى الله عليه وسلم ويلصق بالإسلام ما ليس منه فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب عمه أبا طالب وهو على دين قومه ولم يجد في ذلك غضاضة ولم ينهه الله تعالى عن ذلك وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ذلك حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) والآية نزلت حينما طلب النبي صلى الله عليه وسلم من عمه حين حضرته الوفاة قائلاً يا عم قل لا إله إلا الله أشفع لك بها عند الله وكان عليه السلام حريصاً على إسلام عمه لحبه الشديد له وظل يطلب منه ذلك مرات متتالية حتى أنزل الله هذه الآية عن سعيد بن المسيب، عن أبيه رضي الله عنهما قال: "لما حضرتْ أبا طالب الوفاةُ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أُميَّة بن المُغِيرَة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يا عمِّ، قُلْ: لا إله إلا الله؛ كلمةً أشهدُ لكَ بها عند الله))؛ فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أُميَّة: "يا أبا طالب، أترغبُ عن مِلَّةِ عبدالمطَّلِب؟." فلم يَزَل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يَعرضها عليه، ويُعيد له تلك المقالة، حتَّى قال أبو طالب آخرَ ما كلَّمهم: "هو على مِلَّةِ عبدالمطَّلِب"، وأَبَى أن يقول: لا إله إلا الله؛ وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

١ – سورة القصص آية ٥٦

بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [١] والآية تعلن صراحة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب عمه ولم يلمه الله على هذه المحبة وإنما أخبره بأن الهداية بيد الله وحده وأن النبي وإن كان محباً لعمه لا يستطيع أن يهديه للإيمان فهذا ليس من شأنه صلوات الله وسلامه عليه وإنما هذا من أمر الله وحده.

- **وفي غزوة بدر وقع أبو العاص بن الربيع في الأسر** وكان متزوجاً من زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقع في الأسريوم بدر وقبل النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين الفدية أرسلت السيدة زينب أسورة كانت لأمها خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم ليعفو عن أبي العاص ولم يغضب النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينهها عن مساعدة هذ الرجل بالمال لينجو من الأسر وكان لا يزال على الشرك وحينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الأسورة تذكر أمها خديجة وكادت دموعه أن تجري وقال لأصحابه إن رأيتم أن تطلقوا سراحه وتردوا إليها الأسورة فافعلوا ففعلوا ذلك[٢] هذه القصة رواها بن كثير في تفسيره قال كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها ، وقد كانت

---

١ – صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة القصص (٣/ ٦٢ – ٦٣)، برقم (٣٨٨٤) طبعة المكتبة السلفية – القاهرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، و"صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرَعْ في النزع طبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (١/ ٥٤)، برقم (٢٤)، واللفظ له. (١/ ٥٤)، رقم (٢٤)، واللفظ له.

٢ – قصة فداء أبي العاص بن الربيع رواها ابن كثير في تفسيره ٨/ ٩٣ تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

مُسْلِمة وهو على دِين قومه ، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بِقلادة لها كانت لأمها خديجة ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقّ لها رقَّةً شَديدَةً ، وقال للمسلمين: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا" . ففعلوا ، فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يبعث ابنته إليه ، فَوفى له بذلك وصَدقه فيما وعده، وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر، وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها العاص بن الربيع سنة ثمان فَرَدّها عليه بالنكاح الأول، ولم يُحْدِث لها صداقًا وروى الإمام أحمد من حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت : لَمَّا بَعَث أهل مكة في فداء أسراهم بَعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم في فِداء أبى العاص بن الربيع بِمَال وبَعثت فيه بقلادة لها ، كانت لخديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بَنَى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه و سلم رقّ لها رِقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها وتَرُدّوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ورَدّوا عليها الذي لها [1]وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على محبتها لهذا الرجل الذي كان لا يزال على الشرك فهل كانت السيدة زينب خارجة عن عقيدة الولاء والبراء وهي تساعد رجلاً مشركاً تحاول إنقاذه من الأسر ؟ أظن أن هذا

١ رواه أحمد في مسنده بسند حسن ٢٧٦/٦ مسند الإمام أحمد بن حنبل الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة

الأمر غير وارد ولم يوجه لها النبي صلى الله عليه وسلم لوماً على حبه ومساعدتها له بل رق لحالها.

فهل بعد ذلك يصح أن يقال إن الإسلام يمنع المسلم عن محبة أحد من المشركين أو أن يأمرنا بأن نبغض الكافر لكفره فقط إن ادعاء مثل هذا الأمر يلصق بالإسلام ما ليس منه فالإسلام هو الذي علم الناس المحبة والتعايش.

إن نشر الكراهية باسم الدين أمر لا يليق بالإسلام وإذا كنا مأمورين بكراهية المخالف لنا في الدين من كل قلوبنا كما يدعي هؤلاء فكيف سندعو الناس لهذا الدين ونحن نبغضهم كل هذا البغض

وكيف سيأنس الناس لنا ونحن نعبر لهم عن البغض في كل حال طالما أنهم على غير دين الإسلام

إن الكراهية لا تولد إلا كراهية ولا يليق بدين سماوي أن يأمر أتباعه بتبني الكراهية مع جميع المخالفين لأنهم فقط لم يؤمنوا بهذا الدين وهل يليق بالإسلام أن يترك للناس حرية اختيار الدين الذي يرضونه ثم يعاقبهم على اختيارهم بعد ذلك ويأمر المسلمين ببغضهم في كل حال لأنهم اختاروا ديناً غير الإسلام ؟ إن الله تعالى يقول : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (٢) وقال

١ – سورة الكهف آية ٢٩

٢ – سورة البقرة آية ٢٥٦

تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

أفبعد كل هذا التأكيد على حرية الاعتقاد وهذا من مميزات الإسلام هل يعقل بعد هذا أن يأمر الله المسلمين أن يبغضوا من اختار ديناً آخر من كل قلوبهم ؟

- **لقد أباح الله للمسلم** أن يتزوج امرأة كتابية سواء أكانت يهودية أو مسيحية بلا حرج يقول تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٢) وإذا كان الله قد سمح للمسلم أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب لابد أن يعاملها بما ينبغي أن يعامل به الزوجة من المودة والرحمة فهذا هو المقصود من الزواج قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ

١ – سورة يونس آية ٩٩

٢ – سورة المائدة آية ٥

فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] فالمودة أي المحبة والرحمة ينبغي أن تصبغ علاقة الزوج بزوجته والزوجة هنا يقصد بها مطلق الزوجة فليست المحبة والرحمة قاصرة على الزوجة المسلمة دون الكتابية فكل من صدق عليها أنها زوجة للمسلم وجب عليه أن يؤتي لها بحقها من المودة والرحمة فهل يعقل أن يبح الله للمسلم الزواج من اليهودية أو المسيحية ثم يأمره ببغضها من كل قلبه ؟ كيف يكون هذا ؟! إن الإسلام لا يفرق بين زوجة مسلمة أو كتابية في هذا فلكل حق الزوجية كاملاً من المحبة والاحترام وحسن العشرة كما يقول الشيخ محمد عبده : أن يذهب الرجل بزوجته إلى بيت عبادتها لتؤدي شعائر دينها ثم يصحبها إلى بيتها بعد ذلك هذا هو ديننا العظيم الذي يراعي حقوق المخالفين في الدين ويحافظ على العلاقات الودية معهم وبهذا انتشر هذا الدين انتشاراً واسعاً لسماحته ويسره وسهولته واحترامه للآخرين ففتح الله قلوب كثير من الناس لهذا الدين في أرجاء الأرض وفي كل فترات التاريخ فكم من شعوب تحولت إلى الإسلام بسبب حسن معاملة المسلمين لغيرهم أما اليوم فيخرج علينا هؤلاء بما يدعون أنه عقيدة تأمرنا بكراهية الناس لكفرهم وهذا افتراء على دين الله وعزل للمسلمين عن غيرهم وهي دعوة هدامة تدعو إلى عدم الاختلاط مع بقية الشعوب وإعلان الكراهية والبغضاء أساساً للتعامل مع الآخرين فيشنع على الإسلام بأنه دين لا يعرف التعايش ومعاملة الآخرين وهذا ظلم كبير

١ – سورة الروم آية ٢١

للإسلام فالإسلام هو الذي علم الناس كيف يتعايشون ولكل دينه وهو حر في التمسك به وممارسة شعائره بكامل الحرية دون أن يعاقب على ذلك بالكراهية والعزلة.

- **<u>الأكل من طعام غير المسلمين وزيارتهم في بيوتهم</u>**

يرى هؤلاء المتشددون أن المسلم ينبغي ألا يأكل من طعام غير المسلمين لأن هذا يخالف الولاء والبراء ويضر بدين المسلم وأنه لا ينبغي أن يأكل طعامك إلا المسلمون الأتقياء **ونرد على ذلك بعدة أمور منها :-**

❖ ما روي من أن امرأة من اليهود طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب معها إلى بيتها لأنها صنعت له ولأصحابه طعاماً فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بيتها (١) ولم

---

١ – ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكمبي صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها ، وسألت : أي اللحم أحب إليه؟ فقالوا : الذراع . فأكثرت من السم في الذراع ، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم ، فلفظ الأكلة ثم قال : " اجمعوا لي من ها هنا من اليهود . فجمعوا له، فقال لهم : إني سائلكم = عن شيء ، فهل أنتم صادقي فيه ؟ قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبوكم ؟ قالوا : أبونا فلان . قال : كذبتم ، أبوكم فلان . قالوا : صدقت وبررت . قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ =. = = قالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل النار؟ فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفوننا فيها . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخسئوا فيها ، فوالله لا نخلفكم فيها أبدا . ثم قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ قالوا : نعم . قال : أجعلتم في هذه الشاة سما ؟ قالوا : ==

يمتنعوا عن ذلك ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا لا يجوز في ديننا بل ذهب هو وأصحابه مما يدل على أن هذا الأمر مباح لا حرج فيه ولا يقولن معترض إن هذه المرأة كانت قد وضعت سماً في الطعام مما يدفعنا إلى الحذر من مخالطتهم لأن هذا لا يقدح في أصل جواز أكل طعام أهل الكتاب ودخول بيوتهم حيث قبل النبي ذلك .

- ❖ وروي أيضاً أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فذهب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يزوره فوجده يحتضر فقال يا غلام قل لا إله إلا الله أشفع لك بها عند الله فنظر الغلام إلى أبيه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار. (١)

ونلاحظ في هذا الحديث عدة أمور ترد على القائلين بهذا المفهوم الخاطئ للولاء والبراء: **أولى هذه الملاحظات** أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخدمه غلام يهودي وهذا لا يخدم مدعي الولاء والبراء الذي يدعونه لأنهم يرون أن المسلم ينبغي ألا يستخدم غير المسلمين و لا

==

نعم. قال : فما حملكم على ذلك ؟ قالوا : [ص: ٢٩٨] أردنا إن كنت كاذبا نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك راجع البداية والنهاية ١٣٦/٤ طبعة مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٦ (وجيء بالمرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أردت قتلك . فقال : ما كان الله ليسلطك علي . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : لا . ولم يتعرض لها ولم يعاقبها)

١ – الحديث أخرجه البخاري / كتاب الجنائز / باب وإذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ط دار بن كثير ١٩٩٣ حديث رقم ١٢٩٠.

يستعين بهم في أعماله فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم لا يجد ما يمنعه من الاستعانة بهذا الغلام اليهودي رغم وجود العديد من المسلمين الذين يمكنهم خدمة النبي صلى الله عليه وسلم بل ويتمنون ذلك .

الملاحظة الثانية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد غضاضة في زيارة بيت هذا اليهودي وأسرته وهذا يعكر أيضاً على الفكر المغلوط للولاء والبراء لأن القائلين بهذا الفكر يرون أن زيارة غير المسلمين ودخول بيوتهم يخالف عقيدة الولاء والبراء

الملاحظة الثالثة: أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد هذا الغلام المريض وهو يهودي على غير دين الإسلام بلا حرج ودخل بيته وبيت أبيه اليهودي مما يدل على أن هذا الأمر مباح فالإسلام لا يمنع المسلم من الاختلاط بالآخرين المخالفين له في الدين طالما أنهم لا يحاربوننا وهذا يخالف ما يدعيه هؤلاء المخالفون من أن المسلم لا يجوز له أن يعود مريضهم لأن هذا يخالف الولاء والبراء.

❖ **التعامل مع غير المسلمين والاستفادة بهم**

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع المشركين في مكة لا يمنعه من ذلك مانع فيبيع لهم ويشتري منهم ويصاحبهم ويستعين ببعضهم أحياناً فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما خرج إلى الطائف ولم يستجب له أهلها عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة فمنعه أهل مكة من دخولها فأرسل إلى صديق له ليساعده في دخول مكة وهو مطعم بن عدي الذي هب لنجدة النبي صلى الله عليه وسلم رغم أنه كان مشركاً وخرج هو وأولاده بسيوفهم ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في جواره. **قال ابن الأثير** رجع النبي . صلى الله عليه وسلم . من الطائف حزينًا مهمومًا بسبب إعراض أهلها عن دعوته، وما ألحقوه به من أذىً، ولم يشأ أن يدخل مكة كما غادرها، إنما فضل أن يدخلها في جوار بعض رجالها، خاصة أنه حين خرج . صلى الله عليه وسلم . إلى الطائف عزمت قريش على منعه من العودة إلى مكة، حتى لا يجد مكانا يؤيه، أو أناسا يحمونه.

قال ابن القيم " :فقال له زيد :كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ . يعني قريشا . ، قال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه، فلما انتهى إلى مكة، أرسل رجلا من خزاعة إلى مُطْعَم بن عدي: أدخل في جوارك؟، فقال: نعم، فدعا بنيه وقومه، وقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرتُ محمداً، فدخل رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم على راحلته، فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمداً، فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله .

صلى الله عليه وسلم . إلى الركن، فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته ومطعم وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته [١]

ومما يدل على جواز التعامل مع غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين في مجتمع واحد ما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من مشركي مكة حينما ضربوا على المسلمين حصاراً اقتصادياً وحبسوهم في شعب أبي طالب مدة طويلة (لا يتعاملون معهم ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم فلما انتهى الحصار عاد النبي وأصحابه رضوان الله عليهم للتعامل مع المشركين في مكة رغم ما نالهم من أذى ورغم الحرب الاقتصادية التي فرضها المشركون على النبي ومن معه إلا أنه لم يمتنع عن التعامل معهم والعودة إلى ما كان قبل الحصار يبيع لهم ويشتري منهم ويجالسهم ويخالطهم في مكة وله منهم أقارب وجيران وأصدقاء لم يمتنع يوماً عنهم ولا أمر أصحابه أن يقاطعوا المشركين أو أن يمتنعوا عن معاملتهم في شتى مناحي الحياة.

❖ ومما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمتنع عن معاملة غير المسلمين ما كان من أمر الهجرة فقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة بأحد المشركين العارفين بخبايا الطرق المؤدية إلى المدينة وهو عبد الله بن أريقط [٢] ولم ير في الاستعانة به حرجاً ولا ادعى أحد

---

١ – انظر القصة في الطيقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري تحقيق : إحسان عباس الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة :الأولى – ١٩٦٨ م ١/ ٢١٢

٢ – راجع السيرة النبوية لابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد طبعة دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٩٧٦ م ٣٣٤/٢ وسيرة ابن هشام ==

أن هذا يخالف عقيدة الولاء والبراء كما يدعي أصحاب هذا الاتجاه وربما يقولون رداً على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مضطراً لذلك لأن الإسلام كان في بدايته ولم يكن هناك أحد من

المسلمين خبيراً في هذه الطرق فاستعان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المشرك اضطراراً ونحن نقول إن هذا الكلام ليس عليه دليل فلم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما يمنع الاستعانة بغير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين في مجتمع واحد وسأضرب هنا مثالاً أكثر وضوحاً على جواز التعامل مع غير المسلمين بلا حرج حتى في وجود مسلمين يستطيعون المساعدة فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رهن درعه عند أحد اليهود في المدينة ومات وهذه الدرع لا زالت مرهونة عند اليهودي فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت " توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير " [1] وهذا دليل واضح جلي على جواز التعامل مع غير المسلمين حتى لو كان هناك مسلمون في المجتمع يمكن التعامل معهم بدلاً من التعامل مع غير المسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم استدان من هذا اليهودي رغم وجود كثير من الصحابة الذين يمكنهم القيام بهذا الأمر مما يدل على أنه لا فرق في التعامل في أمور الحياة مع

==

٤٨٧/١ طبعة مصفى البابي الحلبي تحقيق مصطفى السقا وآخرون ط الأولى ١٣٥٥ هـ والبداية والنهاية ٣/ ٢١٨

١ – موت النبي ودرعه مرهونة عند يهودي /الحديث رواه البخاري باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسسلم ١٠٦٨/٣

المسلم أو غير المسلم سواء أكان الأمر فيه اضطرار أو لا فالإسلام لا يمنع المسلم من التعامل مع من يريد من المحيطين به مسلمين أو غير مسلمين ورغم وضوح هذه المسألة إلا أننا نجد هؤلاء المتشددين يمنعون المسلم من التعامل مع غير المسلمين إلا للضرورة فيمنعون المسلم مثلاً من الذهاب إلى الطبيب غير المسلم إلا إذا لم يوجد في المسلمين مثله وهذا لا أصل له في الدين فالقرآن الكريم يوضح لنا أن الله جعل الناس مختلفين في أمور كثيرة ومنها الدين وأن هذا الاختلاف لا ينبغي أن يمنعهم التعارف والمصاحبة والتعاون في إعمار الحياة يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [١] فالتعارف هنا هو التعامل والمشاركة في الأمور الدنيوية بين المسلمين وغيرهم ممن يحتكون بهم ويعيشون معهم أو لهم بهم علاقة.

- **<u>الإهداء إليهم وقبول هداياهم</u>**

يدعي القائلون بالولاء والبراء على هذا الفهم المتشدد أن المسلم لا يصح له أن يعطي هدية لغير المسلمين أو أن يقبل منهم هداياهم لأن في هذا مولاة لغير المسلمين وإقرار بمحبتهم وهذا يقدح في عقيدة الولاء والبراء وفي هذا من الغلو والشطط ما فيه فلم يرد في ديننا ما يمنعنا أن نهدي لغير المسلم هدية أوأن نقبل منه هديته لاختلاف ديننا عن دينه

١ – سورة الحجرات آية ١٣.

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يرسل إلى المقوقس حاكم مصر برسالة يدعوه فيها للإسلام فلما قرأ المقوقس الرسالة أثنى عليها وأرسل للنبي صلى الله عليه وسلم بعض الهدايا فأرسل له جاريتين مارية القبطية و أختها سيرين وأهداه كسوة وبغلة مسرجة فقبل النبي الهدايا وتزوج السيدة مارية وزوج أختها لحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم [١] فقبول النبي صلى الله عليه وسلم هذه الهدايا من المقوقس وهو على غير دين الإسلام دليل بين يوضح بجلاء أن قبول الهدايا من غير المسلمين جائز بلا حرج.

هذا فيما يخص قبول هدية غير المسلمين أما بخصوص إهداء المسلم لغير المسلمين فيروى أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما "ذبحت له شاة فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودي أهديتم لجارنا اليهودي .... " [٢] فهذا أحد أجلة الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص يأمر بالإهداء لهذا الجار

اليهودي ويعلل ذلك في نهاية الحديث بقوله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه [٣] ولنا هنا ملاحظة في نص الحديث هذه الملاحظة تتمثل في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا زال يوصي بالجار ولم يفرق في

---

١ – انظر القصة في كتاب فتوح مصر وأخبارها / عبد الرحمن عبد الله القرشي ط دار القلم بيروت ١٩٩٦ صـ٣٤

٢ – رواه الترمذي في سننه / كتاب البر والصلة باب ما جاء في حق الجوار حديث رقم ١٩٤٣.

٣ – المصدر السابق.

النص بين كونه مسلماً أو غير مسلم وهذا ما فهمه ابن عمرو رضي الله عنه فأكد على الإهداء لهذا الجار اليهودي حتى لا يظن أحد من أهل بيته أن هذا يهودي لا يجوز أن يهدى إليه من هذه الشاة فعلم من ذلك أن الإهداء لغير المسلمين ليس ممنوعاً ولا ينافي الإيمان ولا يقدح فيه بل هو مطلوب وهو من الإحسان والتسامح الذي ميز المسلمين في كل تاريخهم في تعاملهم مع غيرهم .

وقد ثبت لنا بهذا جواز الإهداء إلى غير المسلمين وقبول هداياهم بما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم.

- **<u>الثناء عليهم</u>**

يرى أصحاب هذا الفكر المتشدد أن مما يخالف الولاء والبراء أن يثني المسلم على أحد من غير المسلمين أو أن يثني على ما عندهم من التقدم والمدنية والثناء على أخلاقهم وهذا أمر عجيب ألم يثني النبي صلى الله عليه وسلم على أخلاق النجاشي حينما أمر أصحابه أ ن يذهبوا إلى الحبشة فراراً من ظلم المشركين في مكة فقال اذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ذكر ابن حجر **أَنَّ** النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكِينَ يُؤْذُونَهُمْ وَلَا يَسْتَطِيع أَنْ يَكُفَّهُمْ عَنْهُمْ " إِنَّ بِالْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَم عِنْده أَحَد ، فَلَوْ خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَل اللَّه لَكُمْ فَرَجًا [١] أليس هذا مدح وثناء من النبي صلى الله عليه وسلم على أخلاق النجاشي ؟ وربما يقول قائل إن النجاشي أسلم فيجوز الثناء عليه

١ – فتح الباري / ابن حجر العسقلاني ١١/ ١٩٥ ط دار الفكر بيروت .

ونحن نقول إن النجاشي في هذا الوقت كان نصرانياً ولم يسمع عن الإسلام حتى أخبره جعفر بن أبي طالب بمحاسن الإسلام وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الدين فعلم أن هذا دين حق فقال والله إن هذا والذي جاء به عيسى قد خرج من مشكاة واحدة فالنبي قد أثنى على عدله وأخلاقه وهو زال على دينه ثم إن العجب والدهشة ليبلغ بنا مبلغاً عظيماً حينما يطلبون من المسلم إذا رأى ما عند غير المسلمين من تقدم وحضارة أن لا يثني على ذلك وهذا الكلام من وجهة نظرنا هراء لا قيمة له فهذا الأمر الذي يقولونه يجعل المسلمين في واد والآخرين في واد آخر تماماً وهذا ليس مقصود الله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه يريد من بني البشر التعاون فيما بينهم لإعمار الأرض ولن يكون هذا إلا بالتشارك والسعي في الأرض وتنميتها مجتمعين أما أن يستقل كل أهل دين عن غيرهم ولا يتعاونون معاً فإن هذا الأمر سيعود بالضرر على بني البشر جميعاً إن المدنية والتقدم لا تكون إلا بتشارك الناس معاً بغض النظر عن أديانهم أو أجناسهم أو ألوانهم ولو فعل المسلمون هذا وامتنعوا عن مشاركة بقية الشعوب في أمور الحياة ما استطاعوا أن يبواءموا مع العصر الذي يعيشون فيه ولعزلوا أنفسهم عن الناس ولزادت الفجوة الحضارية بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات وليس هذا الأمر قاصراً على المسلمين فقط بل إن أي مجتمع يعزل نفسه عن بقية المجتمعات سيحدث له هذا الانفصال وستخلف ولا شك عن غيره من المجتمعات إذ لا يستطيع مجتمع من المجتمعات أن يستغني بنفسه عن بقية البشر فالكل في حاجة إلى الكل.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع مفهوم الولاء والبراء وبيان الوجه الذي نرتضيه نقول إننا يمكن أن نستخلص **النتائج التالية :**

١- إن الكراهية ليست ديناً ولا يمكن أن تكون عقيدة صحيحة

٢- لا يوجد عقيدة تسمى عقيدة الولاء والبراء على الفهم الذي قال به هؤلاء المتشددون وأن هذه العقيدة بدعة ابتدعت بعد القرون الفاضلة .

٣- الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه ويكفل لكل إنسان اختيار العقيدة التي يرتضيها دون تضييق عليه أو استحقاق عقوبة دنيوية على هذا الاختيار

٤- لا نشك أن المسلم ينبغي له أن يعبد الله وحده ولا يرضى عن عبادة غبر الله ويتبرأ من كل ما يعبد من دون الله دون أن يرغم الآخرين بالقوة على عقيدته فالدين لا يفرض بالقوة

٥- المسلمون وغيرهم شركاء في عمارة الأرض وعليهم أن يتعاونوا على ذلك دون أن يعوقهم اختلاف أديانهم عن إنجاز هذه المهمة

٦- احتواء الإسلام للأخرين هو أمر ميز الإسلام في طول التاريخ وعرضه وبلاد المسلمين كانت دائماً ملاذاً لكل مضطهد من أهل الأديان الأخرى

٧- حب المسلمين للناس وتعاملهم معهم بالحسنى جعل شعوباً بأكملها تتحول إلى الإسلام طواعية فلماذا يريد المتشددون قطع الصلة بين المسلمين وغيرهم ومتى يرى غير المسلمبن حسن الإسلام إذا كنا ستعاملهم بالكراهية والعداوة

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- أسباب النزول للواحدي / أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي ط مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ط الثانية ١٩٦٧ م
- البداية والنهاية/ أبو الفدا اسماعيل بن كثير ط مكتبة المعارف – بيروت ١٩٦٦
- تفسيرالقرآن العظيم الحافظ ابن كثير طبعة /دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩
- تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي / ط دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٧ م وطبعات أخرى
- سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ط دار الدعوة سوريا تعليق عزت الدغاس ط أولى ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م
- السيرة النبوية الحافظ ابن كثير تحقيق مصطفى عبد الواحد طبعة دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٩٧٦ م
- –السيرة النبوية / عبد الملك بن هشام طبعة مصفى البابي الحلبي تحقيق مصطفى السقا وآخرون ط الأولى ١٣٥٥ هـ

- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد الناشر : مؤسسة الريان الطبعة السادسة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ط المكتب الإسلامي سنة ١٣٩١هـ .
- شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
- صحيح البخاري دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا وطبعات أخرى
- صحيح مسلم طبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
- – الطيقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري تحقيق : إحسان عباس
- الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة :الأولى - ١٩٦٧ م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري / الحافظ ابن حجر العسقلاني ط دار الفكر بيروت
- فتوح مصر وأخبارها / عبد الرحمن عبد الله القرشي ط دار القلم بيروت ١٩٩٦
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ط / المكتبة الإسلامية ١٣٩٧

- القاموس المحيط للفيروزأبادي ط المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١ هـ .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس / إسماعيل بن محمد العجلوني ط القدسي الطبعة الثلثة ١٩٨٨م
- لسان العرب لابن منظور ط دار لسان العرب بيروت ١٣٨٩هـ.
- مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ط/ دار الفكر بالقاهرة ١٩٧٨
- مجموع الفتاوى لابن تيمية مطبعة / المنارة
- المصباح المنير / المقري (محمد بن محمد المقري) ط دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١٣٨٨هـ
- مسند الإمام أحمد طبعة المكتب الإسلامي ط الثانية ١٣٩٨ هـ وطبعات أخرى
- الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ط المكتبة التوفيقية – القاهرة ط– السابعة ٢٠١٤